طَوْر النأيِ وطَوْرُ التّيه

محمد الخالدي

I طور النأي

ما لِرمالكِ تمْتَدُّ وتمْتَدُّ
وما لِسَمائِكِ لا تُمطرُ
ما لِبَواديكِ تَسيحُ ولا تُنْبتُ غيرَ الصبّارِ
ومالي... ....
مسكوناً بحنينِكِ مُذْ كُنْتُ
أجوبُ الدّنيا، أحمل كلَّ خطَايَاكِ
- أبي لفَّ عباءَتَه يوماً ورماكِ
فلِمْ شَبَّتْ حَرَّانُكِ فيَّ
ولِمْ نَبَتَتْ رمضَاؤُكِ فوق جبيني؟
أبَداً تَنْأينَ وتنأينَ قِفَاراً ماحِلَةً
وصحَارَى من ملحٍ
ألْمَحُ عن بُعْدٍ قبرَ أبي
يصْرُخُ بي
وخرائِبَ أهلي يسكنُها البُومُ
- طعامي العَوْسَجُ والقَيْصُومُ
شرابي الغِسْلينُ
أنوءُ بحزْني
وأَضيعُ وحيداً في جَرْعَائِكِ
يُدْمي قَدَمي حَجَرُ الفَلْتَاءِ
فأَقْعى منْهوكاً بين خرائبِ أهلي
أسْأَلُها:
أوَ مَرَّتْ بِكِ خيلُ أبي ذاتَ عَشِيٍّ؟
***
يا أرضاً تنْأَى
شطَّ مزارُك وامتدّتْ دونَكِ بيدٌ
وفِجاجٌ من ريحْ
ما لِسمائِكِ لا تُمطرُ
ما لبواديكِ تَسيحْ؟؟

II طور التيه

يا أهلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لكم فعُودُوا
بُحَّتْ حناجرُنا وأوْرَقَ من تهجُّدِنا الحديدُ
لا تُقدِمُوا فأمامكم صحراءُ من حجرٍ وَآلِ
ومتاهَةٌ ما نَضَّ ماءٌ في مَفَاوِزِها
ولا خطرتْ ببالِ
عودوا فدونَ البيدِ بيدٌ
دونها بيدٌ وبيدُ
عودوا فقد عَمِيَ الدّليلُ
ورمتْ بنا الفَلَواتُ أشْباحاً تهيمُ
ولا تَريمُ
لا تُقْدِمُوا فالأرضُ مَرْتُ
ودروبُنا حَجَرٌ وصُوَّانٌ
والكُبادُ تُفَتُّ
- أهِيَ الطريقُ طويلةٌ؟
- كَلاَّ! ولكن قد تطولُ
فديارُنا شَطَّتْ وما بان السَّبيلُ....
تعبتْ ركائبُنا
ولَمَّا نَبْلُغِ العَرَصَاتِ بَعْدُ
وتَغَضَّنَتْ مِنَّا الجباهُ لفرطِ ما رَكَعَتْ
ولَمَّا نبلغِ العرصاتِ بعدُ
جُعْنا وما في البيدِ غيرُ النَخلِ
جرَّدْنَاهُ من سَغبٍ كأبناءِ السّبيلِ
لا تَعْجَبُوا
ولْتَسْأَلُوا كَرَبَ النخيلِ
يُجِبْكُمُو كَرَبُ النّخيلِ:
- مَرُّوا عَليَّ بِلاَ دَليلِ
مرُّوا عليَّ وجوهُهُم حطَبٌ
وأعيُنهم سؤالٌ عن مَقيلِ
أَلْقَوْا برَحْلِهِمُو ولَجُّوا في العويلِ:
ماذا تقولُ لأهلنا
أيَضُمُّنَا ويضمُّهم في البيدِ لَحْدٌ؟
أين الدليلُ؟
- تَمَهَّلُوا. قَدْ أَتْهَمَ المْفْوُنُ
والمطلوبُ نجدُ
يا أهلَ يثْرِبَ لا مُقامَ لكم فعُودوا
بُحَّتْ حناجرُنا وأوْرَق من تَهَجُّدنا الحديدُ.

تونس